لَعَلّه اذّخرك

بسم الله الرحمن الرحيم

«لابد من تأريخ الأدوار الجهاديّة الصادقة
حتى يكـون هذا التاريخ مدرسـةً للأجيال»

آيــة الله قـاسـم

لعله ادخرك

لقاءٌ موجَز مع عدد من المُقرّبين للشهـيـد

حول مراحل مبارزته للطاغوتيَّة في البحرين من ١٤ فبراير ٢٠١١
إلى حين استشهاده بميدان الفداء ٢٣ يونيو ٢٠١٧

شهيد الدفّاع عن الدّين والعقيدة
الشهيد محمد عليَ الساري

مواليد ١٩٨٩

متأهلٌ ولديه ولدٌ وبنت

الشهادة ٢٣ مايـو ٢٠١٧ بميدان
الفداء على يد قوّات النظام البحريني

المَدفَن القسري: مقبرة المحرَّق

يوم ١٤ فبراير .. الرّاية التي لن تسقط

لَم يَكن موقف محمد محسوماً بعد، قالَ لأحد رفاقه قبل ١٤ فبراير «عليّ أن أنتظر كلمة الشيّخ في يوم الجمعة لأتيقَّن منه الموقفَ» وهكذا كانَ ترقُب جميع المحيطينَ به، إلى حينَ خطبَة الجمعة في١١ فبراير ٢٠١١ التي تردّد صداها في مسمعِه.

جاء اليوم الموعود، كانَ محمد مِن أوائل الذينَ رفعوا الرّاية، لا أدري لماذا اختار الانطلاقَ مِن الدّراز، ربما لأنها المسافة الجغرافيةالأقرب للمنبر الذي يستلهم منه كل هذا العنفوان .. منبر «الشيخ» . كان القمعُ شديداً عند مدخل البلدة .. إلّا أنّه كانَ كالطود حينها، وآخر مَن بقي والرّآية لاتزال بيده .. وبقيَت إلى دوّار اللؤلؤة ولم تزل إلى الأيّام الأخيرة.

العودَة للدّوار .. الرّصاصات المميتة

مَع الإصابة سقطتَ الرّاية من يده، فكان أوّل ما سأل عنه حينها « أينَ العلم؟» أعطوهُ إحدى الرّايات، ليست هذه .. إنّها تلكَ، خُذها معك .. ثم غاب عن الوعي.

إنَّها العودة الأولى بعد مجزرة الخميس الدّامي، الجيش الذي فتكَ بجميع المعتصمين ليلاً يبسط كلّ قواه على أرض دوّار اللؤلؤة .. بدأ الزّحف مِن جديد وكُنتُ بقربه .. خوفاً عليه قلتُ لهُ كُن معي، وتقديراً لي لَم يُجب بالرفض .. إنما قال «خَيرٌ إن شاء الله» وابتسم. لكنه اختفى لاحقاً بين الجموع.

الانتظار المُنهِك

اتّصلَ أحدهم، أخبرني أن آتي للمستشفى سريعاً، تيقنتَ أن الأمر يتعلّق بمحمد .. لم أعلم حينها إلّا أنَّهُ في غرفة العمليّات، وكلّما حاوَلت معرفة الأمر شاحوا بوجوههم عنّي، إلى أن استطعت إقناع ممرَّضة غرفة العمليات التي خرجت للتو بأني قريبٌ جداً منه، .. انظري لصورته في هاتفي .. ماحاله؟ طأطأت قليلاً .. «لاتَبخل عليهِ بالدّعاء».

كان ذلك وقت المغرب، خرجَ عبدالرّضا بوحميد -الذي استشهد لاحقاً- من غرفة العمليات، والساعة شارفت على الثانية فجراً إلا أَنَّ محمدًا لم يخرج مِن غرفة العمليّات بعد. كان كلّ شيءٍ يقاوم الانهيار بغية رؤيته وهو يخرج من غرفة العمليات .. حتّى خرج، فأُغمَي على والده لحظة خروجه وسقط أرضا.

رُحتُ أبحثُ عن الطبيب المُشرف، أشاروا إليه .. هذا هو الطبيب. كانَ مجهدًا جدًا، قلتُ له: ما أخبار محمَّد؟ فعانقني على الفور، تمهلَّ كثيراً في العِناق وما أنْ ابتعد قليلاً حتّى أخذ يعيد التقاطَ أنفاسه مِن جديد، كفكف دموعه الغزيرة قائلاً: الحمدلله، كل الأمَور إلى خير، اطمئن. ولست أدري إلى هذه اللحظة ما الذي حدثِ ويحدث! أينَ محمد؟ مم يشكو ؟

في غرفة العمليّات والخروج مِنها

أخفى عنّي الطبيب كل التفاصيل التي جرَت على محمد في تلكَ اللحظات الصعبة، ربما لأنّه تلمّسَ فيَّ الارتباط الوثيق به. إلّا أنّه وبعد فترة رافقتهُ لإحدى السفارات الأجنبيَّة في البحرين نظرًا للحاجة الشديدة التي كانت تستدعيها الحالة الصحيَّة، فعلمتُ من شرحه الطبّي أنّه إثرَ اختراق إحدى الرّصاصات لرئته مَمّا أدّت لقَطع الأوردة الرئيسيَّة المتصلة بالقلب وإحدى اليدين، وكانت تستدعي عمليَّةً دقيقة، وكل ماكانوا قد استطاعوا فعله هو رَبط هذه الأوردة والسيطرة على نزيف الرئة إلى الحدّ الذي تُبقيه على قيد الحياة. وقد استغرقتَ هذه المتابعة الصحية لوحَدها شهرًا كاملاً إلى جانب إدخاله إلى مابينَ خمس إلى ستّ عمليات جراحيَّة، وكلّ ذلكَ لمَ يُغني حاجة الإصابة التي في جسده إلى المسارعه لعلاجه خارج البحرين.

قال الطبيبُ للمختصّ الذي في السفارة الأجنبيَّة مالم يقلهُ لنا إلى هذا اليوم بغية أن يعطي التصوّر الدقيق الذي يعجّل بالسَّفَر: «من غير المنطقي أن تصل حالة كهذه إلى المستشفى، ماحدث لهذا الفتى يفوق التصوّر»
استرسل في حديثه عن محمَّد وشخصيّته: «رغم حالته قُبيل تخدير العمليَّة .. إلّا أنّه كانَ متسلحاً بالجرأة والصّبر والصمود في تلكَ اللحظات الحرجة جدًا»

انحنى وقبّلَ يده

شخصياتٌ عدّة هي التي زارته، بعضها كنتُ متواجدًا وبعضها لم أكُن، فمثلاً تلك الصورة الشهيرة التي تجمعه بالشيخ علي سلمان هِي من المواقف التي لم أكن متواجدًا فيها، وهو لم يذع لي ما دفع الشيخ للانحناء وتقبيل يده، إلّا أنّ أحد الأصدقاء الحاضرين أخبرني أنّ محمدًا قال «سننتصر، انتصارنا في اتّحادنا جميعا» كان يقولها وجهاز التنفس يُعينهُ، وهذا ما أذكر أنّه كان يوصي به جميع مَن زاروه من الرموز والشخصيات.

الزيارة الأولى .. آية الله قاسم ومحمَّد

عَلِمنا أنَّ سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم في طريقه إلى هنا .. يطمئن على الجرحى الذينَ سقطوا مؤخرًا، وهاهو في طريقه إلينا .. عِلَم محمَّد بالخبر، وجدتهُ مضطربا. وصل الشّيخ، أخذتُ بتعريف محمد وإصابته وشرحَ ماكنّا نعرفه عن إصابته، أتذكّر كيف نظر في عينيَّ محمد وبكى قبل الانصراف، ولعلّ الجميع شاهد ذلك عبر المقاطع المرئية التي انتشرت حينها ... خرجَ جميع مَن كانوا يحيطون بمحمد لتشييع الشيّخ وهو يغادر، وبقيتنا معًا لوحدنا، أخذ محمَّد يجهش بالبكاء .. يردّد «ومَن أكون ليعودَني هذا الرّجل». لايزال المشهد ماثلاً أمامَ عينيّ، وكلما تذكرتهُ تذكرتُ هذا المشهد الذي لم يشاهدهُ أحدٌ سِواي، كأنّما سيلٌ من الكيمياء يجري من حولي لَم أشعر به إلّا بعد شهادته، كان محمّد يستحقّ ذلك بجدارة، وقد أكرمه الله ..

قوات الجيش البحريني تقتحم المستشفى

إثر دخول قوات درع الجزيرة الغازية، وانتشار الجيش وفرض حالة الطوارئ بغية الإجهاز على الثورة الشعبية تم اقتحام مستشفى السلمانيّة الطبي من قبل القوّات، سمعتُ ذلكَ منه .. جاؤوا ليأخذوه إلى الطابق السّادس في المستشفى، وهو الطابق الذي تم تخصيصه فورَ الاقتحام لتعذيب الجرحى والمصابين والتنكيل بهم، إلّا أن الطبيب ألحّ عليهم بأن هذا الجريح حالته حرِجة ولا يمكن نزع كل هذه الأجهزة الطبية التي عليه إضافةً إلى جهاز التنفس، وبعد إلحاح طويلٍ وشرح مفصّل لم يشفع كلّ ذلك للتجاوز عنه إلا إمهالَه يومَينَ لا أكثر، ثُمّ عادوا ونقلوه بما بقيَ عليه من أجهزة وأدوات إلى ذلك القسم الذي تحوّل في المستشفى الطبّي لغرفة تعذيبٍ بشعة مرّ بها جميع جرحى الثورة.

لم يَعد للعلاج في الخارج فرصة

بعد فرض الجيش والقوّات الخليجية سيطرتها على المستشفى العام الوحيد في البحرين وهو مستشفى السلمانيَّة الطبّي، وقبلهُ اقتحام قوات الجيش لجزيرة سترة وإحداث مجزرة دمويّة طالت أهالي الجزيرة لم يَعُد ممكنًا نقل محمّد لخارج البلاد، ولم يَكُن باستطاعة الطبيب الذي كانَ مخلصًا لشَرف المهنةِ أن يترك كل هؤلاء الجرحى الجدد يواجهونَ مصيرهم، فسعى قدر الإمكان لمتابعة حالة محمَّد ومواكبة كل الحالات التي يستطيع إسعافها.. ولاحقًا تم اعتقال الطبيب أيضا.

المستشفى العسكري.. الأكثر بشاعة

بعد كلّ التعذيب الذي تعرّض له في مستشفى السلمانية إلى جانب علميات أخرى استدعت حالته الصحيّة إجرائها، تقرَّرَ نقله إلى المستشفى العسكري وهو المستشفى الذي يُشرف عليه العسكر في البلاد، ويُعتبرَ الأقدر خصوصاً مع شح الأطباء الذينَ كانوا يمرّون بويلات التعذيب والاعتقال في المستشفى العام.

بالنّسبةِ لنا كانَ مصير محمّد مجهولاً، إلّا مِن بعض الذين قالوا أنهم شاهدوه في المستشفى العسكري، إذ كان والدهُ وأحد أقربائه يسألونَ عنهُ في هذا المستشفى تارةً وتارةً في ذاك والجواب يكون دائماً: إبنُكم غير موجود عندنا.

كانَ ينقلُ لي أنَّ «أصعب أيّام حياتي التي مررتُ بها كانتَ في المستشفى العسكريّ، فما تلقّيتهُ في (طابق الموت والتعذيب) في السلمانيّة لايرقى أبداً لما نلتُه هنا» يَذكرُ أنّه بعد العمليَّة الجراحية الأخيرة قاموا بلّف جسدي كلّه ولم يُبقوا لي إلا موضعاً صغيراً جدّاً للتنفسّ في غرفةٍ ظلماءَ داكنة مُقيَّداً فيها على السّرير، فكنتُ أعرفُ عَنَ تواجد العسكريين في الغرفة مِن لهجة الطّبيب الذي كان يقسو عليّ! فكلّما تواجدوا قسى، وكلّما انفضّوا عاد إلى جفائه المعتاد. ولعلّه بقيَ هكذا لمدة شهرٍ كامل.

مَن هذا المطروح في الزنزانة؟

لَمن يكن فصَل المستشفى هو الأخير، إذا تم نقل محمَّد وهو على هذه الحالة إلى السّجن بعد مدَّة قصيرَة، ينقلُ أحد المعتقلين حينها أننا كنّا نُقاد غُرَف التعذيب، فكنّا عندَ الذهابِ وعند العودَة نرى شابّاً مطروحًا بلباس المستشفى وبقربهِ جهازٌ يساعدهُ على التنفّس، كأنما قد أخرجوهُ في غرفةِ العمليّات وألقوهُ هُنا فوق أرضيَّة السجن.

كانَ التعذيبُ الذي ناله - يَقول المُعتقَل لي- مهولاً وبشعًا يفوق كلّ تصوّراتنا، وكلّما كنّا نُنهي وجبةً منهُ ونعود، يتبسّم لنا صاحب الجثّة الهامدة «لاتخشوا، سنخرجُ جميعًا من هنا .. وسننتصر».كانَ يبعث فينا الحياة مِن جديد بينَ مايقوله وماهوَ عليهِ مِن حال.

المحكمة العسكريَّة..الحُكم

حوكمَ محمَّد محاكمةً عسكرية، أسوَة بالكثير من هؤلاء الأحرار الذين سيقوا لمحاكمات التشفّي، إلى أن حوكم مجددًا في محكمة مدنيَّة نظرًا للضغوط الخارجيَّة والدّاخلية فتم الحكم عليه لعامَين.

وفي السجنِ أيضًا .. لايكلّ

رُغم ملازمتي له إلّا أنّه لم يكن يحب الحديث عن نفسه وما مرّ به، فكلّ ما كُنت أسمعُ منه عن نفسه كان ضمنَ حديثه العام أو مايذكّره به مَن رافقوه، ومَن جملة هذه الأمور هي مرحلة السّجن .. مِن إحدى تلكَ المواقف هو زيارة لفرض لجنة دولية محايدة تحقق في الجرائم التي حصلت، وكانَت مشروعًا بديلاً اقترحه حلفاء النظام لتجنيبه مآلات كشف الفظائع التي ارتُكتب منذ ٢٠١١، يَنقل أحدهم أنهم وفي تلكَ الأوضاعِ قام رئيس تلك اللجنة بزيارة السجن الذي كان يضم محمدًا ورفاقه، كان ممّن سارعوا مواجهته ووضعه أمام الحقيقةَ كاملةً .. ففتح نافذة زنزانتهِ الصغيرة يدعوهُ للدّخل فيما كان الحرّاس يحاولون منعه مِن ذلك، أصرّ على موقفهِ وطلبه وكان يستعرض جراحه التي لاتزال على جسده من خلال تلك الفتحة إلى أن طلب رئيس اللجنة الجلوس معه والإصغاء إليه، ولم يتردد حينها في كشف كلّ ماتعرّض له وذُكر بعضه في التقرير النهائي، رغم أنَّ ذلك لم يفرض على المعنيين أيّ إجراء عقابي أو ردٍّ لمَظلمَة، وبقيتَ مستمرةً إلى لحظة خطّ هذه الأسطر. إلّا أنّه كان يرى في فضح جرائمهم أمانة يجب أن تؤدّى، فإن لم تكن لليوم فهي للتاريخ والحقيقة والأجيال التي ستلتحق به في هذا الطّريق.

دينامو الزنزانة

يسميّه مدير السّجن «المُحرّض» وكثيراً ما تم استدعاؤه لإدارة السّجن بتهمة التحريض على الإضراب والمطالبات التي تتأجّج في «سجن جو المركزي»، في إحدى المرّات تم استدعاؤه كإنذارٍ وإلّا فإنّه سيخضعٌ لتعذيبٍ يُرغمهُ على التّراجع، وتم نقلُهُ إلى السّجن الانفراديّ، واضطر لقطعِ إضرابهِ عن الطّعام في إحدى المرّات بعد أنَّ أبلغوهُ أنَّ الجلاوزة المحيطين بالزانزانة سيقومونَ بالإعتداء الجنسي لو واصل في هذا الإضراب،أمّا اقتحام زنزانته والعبث بكل ماديه وتفتيشه فهو لم يتوقف .. ولكن دون جدوى.

وبالفعل، كانَ هو الدينامو الذي يحترف إيصال الأخبار من زنزانةٍ لأخرى وينسّق فيما بين الأطراف، ويهندس مع رفاق المُتعقل آلية الإضراب والمطالب دون كلل.

في بعض المفاصل كانَ يبعث لنا مِن السّجن بعض الرسائل والصوتيات التي لاينفك عن تسجيل المواقف فيها، في إحدى الأحداث التي وقعت وهوَ خلف القضبان أرسلَ لنا تسجيلا صوتيًا يقول فيه بكلّ جرأة «إنّني أحمّل رأس الدولة كامل المسؤوليّة».

وجهًا لوجه .. مدير السّجن

مجددًا عاد رئيس اللجنة، وخصّ محمّداً بالزيارة نظرًا للكم الكبير من المعلومات التي كانَ يدلي بها والجرأة التي يتمتع بها في نقل كلّ ماحدث، هذه المرَّة كانَ يرافقهُ فيها مدير السّجن أيضا، افتتح حديثَهُ أنّه تم تعذيبي بالأمس للتَّو، وتمّ نقلي إلى الانفراديّ ... تدخّل مدير السّجن نافيًا ذلك «مَن فعل بكَ ذلك، لم يعذبكَ أحد». أجابه «أنتَ تعلم بكلّ ماجرى، وتعلم بتعذيبي، وإن كنتَ لاتعلم فأنتَ إذًا مديرٌ فاشل»! فهمَّ مدير السجن لمغادرة الزنزانةِ غاضبًا، ولم أعلم ماذا حدث بعد ذلك.

التسجيل الصوتي .. مِن المُعتقل

عاشَ القضيّة بكلّ وجوده، إيمانُه بحقيقة وغاية وجود الإنسان في الحياة والأثر الذي يتركه في تغيير المعادلات لم يكن يسمح لوهجه بالإنطفاء أو لروحه الثوريّة الواعية بالفتور، أرسلَ لنا ذاتَ مرَّةٍ تسجيلاً صوتيًا يطلبُ أن يُذاعَ في تظاهرة البلدة التي ستخرجُ ليلاً رغم الظروف التي كان يمرّ بها في السّجن، في تلك الفترةَ كانَ الحديث الإعلامي يدور حول تعويض المصابين ماليًا بغيةَ تحييدهم، وكان لخطابهِ الوقع البالغ في نفوسنا، قال في رسالته الصوتيَّة التي أُذيعَت عبر مكبّرات الصوتَ في البلدة «إنّني أوجّه خطابي

إلى حمد بن عيسى الذي يقول أنَّهُ سيعوّض المصابين، إنّني أحد هؤلاء وتعويضي هو تحقيق مطالب الشعب، ولن أتنازلَ عن هذا التعويض».

زوجةٌ تحمِل الأمانة .. جيلٌ يواصل الطّريق

كأيّ إنسانٍ يمضي في طريق التّكامل كان يطمحُ للزّواج، كان ذلك قبلَ انطلاق الثّورَة، يبحثُ عنَ تلكَ التي تكونُ جديرَة بالأمانة والرسالة التي يؤمنُ بها، يَقول رفاقه كانَ يقول عِندما يُطرح أمر الزّواج «أتمنّاها زوجةً تتحمل كل ما سأمرّ به في هذا الطريق .. زوجةً تؤمنُ بما أؤمنُ به وتقبلُ العيش معي وفق هذا الإيمان ولو في كوخ».

بعد عامَين مِن الاعتقال: استقبالٌ وزفاف

اقتربَ موعدُ خروجه من المعتقَل، وتقرّرَ أن يقترنَ استقبالُه بعقدِ زفافه، إنهّا إرادة سامقة الرؤى تصارعُ الجبال في شموخها، كانَ الاستقبالُ مهيباً والجموع الغفيرة قد ملأت قاعة الاستقبال والزّفاف، زفّه رفاقُ الطّريق إلى منزلِه، كنتُ واحداً منهم .. أذكر جيداً تلكَ الكلمة التي قالها عندما هممنا بالانصراف في تلكَ الليلة «شباب ما خلصنا احنا عندنا درب طويل ونحتاج نشتغل ونواصل العمل».

الزيارة الثانية .. آية الله قاسم ومحمَّد

تفاجأنا بساعٍ يخبرنا أنَّ الشيّخ عيسى أحمد قاسم يودّ زيارته، كانتَ الفاصلةُ بينَ الخبر والوصول كسنواتٍ متمادية رغم قِصرها ، وصلَ .. ثمَّ دخلَ محمّد الذي كانَ يحتضر وَلهاً في أحضان الشَّيخ، بين كلّ حرفٍ وآخر أبحرٌ من الشّوقِ وأنهُرٌ من الدّموع، يقول « **إحنا مانسوى شي بدونك**» .. بكى معَه الشيّخ وهو ينظر إلى مَدارِج صدر الفتّى والضوء الذي يكبرُ في خافقه .. يُكمل «**كنت أتمنى الشهادة .. تمنيتها، وماحصلتها**». أجابهُ الشيّخ والدَّمعُ لايتوقّف «**بُنيّ لعلّك ادُّخِرتَ لأمر.. لعلّها مُدَّخَرَةٌ لك**» ... لم يكنُ يستطيعُ أحد من الحضورِ أن يصغي إلى مايدور بينهما لولا أن قالها محمَّد لاحقاً لأحد إخوانه.

كانَ الصّمتُ سيّد الموقفِ عند الجميع، بما فيهم محمّد إلى حين المغادرة، خرجَ محمّد خلفه .. خرَّ على الأرض ساجدًا لله تعالى، رفعتهُ حينها من الأرض، عَجِبتُ بهذا الذي يلتهبُ في صدرهِ وما يدورُ في فكرهُ، وكأنّي لا أعرفه ..

الشاب الثوريَّ المكافح

لمُحمَّد حكايا طويلة مَع العمَل، ليس أوّلها أنَّهُ كانَ ضمنَ شركةٍ تجاريَّة خرجَ منها لأنَّ «عزَّة نفسي لاتقبل أن يُهانَ أحدٌ وأصمت دون موقف» .. كان ذلك قبل الثورة، وصولاً إلى شركةٍ أخرى كانَ يعمل بها إلى مابعد الثورة فتم فصلهُ منها ضمنَ مجازر الفصل من العمل وقطع قوت الآلاف التي

مارسها النظام على أبناء هذه الطائفة ، وعندَ خروجه من السّجن لم يكُن إلّا هو الذي عرفناه .. عزيزُ النفّس الذي لايُذعِن للّقمَة أينما كانت، وإنما ينتزعها بجُهدهِ بالمقاييس التي هو يريدها لحِفظِ عزَّته، فعَمل في مشاريعهِ الحُرَّة التي كانَ مكافحاً فيها مِنها بيع السّاعات ضمن مشروعٍ الكتروني قام هو بتأسيسه، فكانَ يشعر بأنّه الطريق المُناسب .. بل كانَ يبتهج مِنه لأن ذهابه وإيابه لايمنعانه بَل يعيناهِ على مشاركتهِ في التظاهرات التي كان يشارك بها وقيادته وتنظيمه للكثير منها.

كان يعيش انسجاماً فكرياً واعتقاداً قلبياً يجعلانهِ في مُنتهى التوافق والانسجام مَع كلّ الرؤى التي يؤمن بها ويعمل عليها .. الشّاب الثوريَّ المكافح الذي يحترف هندسة كلّ متطلبات الحياة ومدّها جسراً تمدّ به لمابعد هذه الحياة. إنَّه محمد الذي نعرفه ..

رساليَّة الأسرَة .. المجتمع

كانَت الهموم التي يحملها تتجاوَز حدود الذّات الضيّقة، فبالرّغم مِن انطلاقه للرّساليَّة الأكبر في المجتمع إلّا أنَّه لم يغفل عن أسرته وعائلته. كان المولّد الذي يحرّك الجميع ويبعث فيهم الحيويَّة، كانَ يكثر الحثَّ على التجمعات العائلية والرحلات الأخويَّة داخل العائلة، ويبادر لملتقيات أو رحلاتٍ تدور حول الالتفاف حول والديه والترفيه عنهما.

وقد تضاعفت هذه الروحيَّة فيه بعد خروجه من السجن أكثر، فضلاً عن مواقفه الكثيرة معهم في الجانب المادّي والظروف الخاصَّة رغم الوضع الاقتصادي الذي كان يمرّ به هو نتيجة الاعتقال.

بصمَةٌ في الميادين: الموقفُ سلاح

عمل بالمبدأ في زمنٍ يكونُ فيه الإيمانُ يسيراً والمضيّ فيه صعبًا عسيرا، يرى أن الموقفَ والصوتَ سلاحٌ لايغفل عنه الإنسان الرساليّ الذي يملكَ روحًا تستشعر مايعانيه المجتمع ومايقعُ عليهِ من تكليف تجاه كل هذه القضايا المصيريَّة.

تضاعفَ نشاطهُ الميدانيّ بعد خروجه من السّجن، وباتَ منَظّماً دافعًا للتظاهرات والاعتصامات في بلدته، مواكبًا لحراك عوائل الشهداء، فأعاد الوهج والنشاط لكلّ ماكانَ يستشعر أنّه قد طالهَ الوهن.

نشطَ بكلّ الفعاليات لمختلفِ الألوانِ والتوجّهات، كانَ يرى دعمها وصيَّة تؤكد عليهِ القيادةَ التي يؤمنُ بها، وكانَت الاستدعاءات الأمنيّة التي تُلاحقه حلقةً عابرَة يعود بعدها بمزاولةِ كلّ نشاطه وتنقلاته بين مختلف البلدات البحرينية ، وحتّي مشاركته فيها بالكلمات والمواقف إن استدعى الأمر، إلى جانب أنشطته

الالكترونيـة في رفـد الثـورة إعلاميًـا والتـي كانـت تتجسـد في الفضــاء الواقعــي والمجــازيّ معــاً.

الاقتحام.. رسالةٌ وجواب

بـدأت السـلطات تفكّـر جديّـاً في تهميـش آيـة اللـه الشـيخ عيـسى أحمـد قاسـم مـن المشـهد الشـعبي بغيـة القضـاء عـلى المصـدر الأوّل للفكـر التأصيـلي والسـياسي الـذي يمـدّ هـذه الجماهـير العريضـة، قامـت القـوّات باقتحـام منزلـه بتعليـلاتٍ واهيـة، كان ذلـك في العـام ٢٠١٣ .. كانَ محمّـداً مِــن أوائــل الذيــن تصــدّروا المشــهد .. وصــولاً للتجمــع الجماهـيري الـذي انعقـد عنـد منزله،ألقـى هنـاك كلمتـه الشّــهيرة عــن الرجــل الــذي يــرى فيــهِ البُعــد العقائــدي والإيمـانيّ الـذي يجـب أن لايمُـس، بمـا يمثّلـه مِـن إسـلام الأرض وهويّـة الدّيـن .. ارتقـى المنصَّـة، إن كُنتـم تريـدونَ أن تصَلـوا إلى هـذا الرّجـل فعليكـم إخبارنـا قبَـل ذلـك .. لنلبـسَ الأكفـان. التقيتُـه بعـد الخطـاب، قُلـت لـه ألم تذهـب بعيـدًا في كلامـك؟ كانـت كلمتـكَ الأكـثر إلفاتًـا، هنـاكَ مَـن هُـم أولى أن يصـدرَ منهـا ذلـك .. فابتسـم. لَـم يُجبنـي حينهـا، تذكّـرتُ الحكايَـةَ بعـدَ شـهادته، عَلِمْـتُ أنّـه وثلـة مـن رفاقـه في «ميـدان الفـداء» كانــوا هُــم نُخَــب السّــاحةِ وفرســان المُنعطَـف وحُـماة عـزَّة الإسـلام فيـما يمثّلـهُ.

ميدان الفداء

في يوم الأثنين من شهر رمضان المصادف ٢٠ يونيو ٢٠١٦ قامَ النّظام وبعدِ فشلٍ طويلٍ من تحييد آية الله قاسم عن تصدّر المشهد بإسقاط جنسيته البحرينية، كانَ الأمر أكبر من ذلك بكثير، كانَ المُراد هو تهشيم الوجود الدينيّ وتهميشه، وبالطبّع فإنهُ لايمُكن لمحمد أن يغيبَ أو يُفقَد في هذا الحدث، تقرَّرَ بدء المرابطة الشعبيَّةً حول دار الشّيخ عن وعيٍ وبصيرَة بمآلات الأمور لو تُركَت، فالأمرُ لَم يَعُد يتعلّقُ بسقفٍ سياسيٍّ وإنّما بمرتكزاتٍ وجوديَّة تتعلّق بالطائفة يُرسَم لها المَحق، ولا شيء يوقِفُ جرّافة الطّاغوت بعد قرار المسّ إلا الوعيُ الذي كانَ مودعًا في بصائر حُراس الدّين والعقيدة، الذين تصدّروا المشهدَ يومَ ضمور المتصدّرين.
تقدّم محمدٌ فارسًا بين هؤلاء ..

بينَ دارَيْن

بينَ عُشّي الإيمان، دارُ الزوّج والأبناء، ودار الدّين والعقيدَة قضى محمّدًا بعد ذلك التاريخ جلَّ أيّامه، وبالرّغم مِن تلكَ الضائقة الاقتصادية إلّا أنَّ حالة الغِنى التي كان يعيشها في ذاته كانت تجعله يرفض حتّى مساهمات بعض إخوانهِ .. إلّا بشقّ الأنفس.

بنى لاحقاً بجهده شقَّةً صغيرَة، وكانَ يسعى بجدّ ليُكملها بنفسه ويُتمّها على أكمل وجه، كانَ ذلكَ في أيّام مرابطتهِ

في ميدان الفداء، وكأنَّهُ في سباقٍ معَ الزَّمن .. كانَ يغادر المرابطة أحياناً ليُكملَ ماتبقّى، فعندما كان رفاقه يسألون أينَ محمَّد؟ كنتُ أقولُ لهم «يخلّص أمورَه». وبالفعل أنجز كلّ شيء قبل الهجوم الأخير بأيّام معدودة وأسكنهم فيها.
كان جديراً بكلّ المسؤوليات التي تقع على عاتقه .. ومُحارباً ماهراً في كل السّاحات التي يخوضها بروحيَّة تزداد توهّجاً كلما ضاق عليه الطريق .. لذلك كانَ الله سبحانهُ وتعالى يفتح لهُ في نهاية كلّ طريقٍ باباً مِن فيضهِ ، حتّى استحقَّ الفيض الأكبر الذي نالهُ بجدارة.

عمّار المَيدان

كعادتهِ لم يكنُ يكتفي بأداء الواجبات في أعماله، كانَ حريصًا على كلّ النوافل التي تسمو به في طريق أداء التكليف الذي تفرضه البصيرَة في أزمنةِ الالتباس، لم يكتفي بالمُرابطة بَل كانَّ عمّار المُعسكر -كما يصف الإمام الخامنئي عمّار بن ياسر ودوره في معسكر أَمير المؤمنين في زمن الالتباسِ والدّفاعِ عنِ الدّين- يشارك في الجلسات الفكريَّة والثقافية بين المُرابطين، ويشدّ من عزائم وعيهم، ويُجلي غبار الالتباس عمّن لم تتضح له خارطةُ الرَّكب .. ثلاثمائةِ يومٍ كانَ محمدٌ ورفاقه فيها القمر بينَ متاريس الميدانِ، لمْ يُثنيهم برق السيّف ولم يستغفلهم قرآنٌ يرفَع زوراً فوق رماح الوجوه اللامعة .. لازموا الحقّ الذي عرفوا به مولاهم.

وحبّب إليَّ لقائك

في يـوم الملحمـة، وهبوب نسـيم الطّف عرجَ محمـد وثلّة من رفاقـه الخُلـص، الذيـنَ كانـوا حواريّـي الإسـلام في يـوم الثالث والعشريـن مـن مايـو، بعـدَ تلـكَ الجـراح البليغـة يقـولُ لي مَن كانَ بجـوارهِ .. سـمعتهُ يقـول «يـا أبا الفضـل العبّاس».

ولشـهادتهِ تفاصيـلٌ كثـيرة وكبـيرة يُحتفـظُ ببعضهـا لحـينِ مـا تسـمح بذلـك الظـروف وتـزول الموانـع، والبعض الآخـر لفصلٍ جديـد .. فمحمـد الشـهيد، ومحمَّـد الـزوج والأب، ومحمّـدٌ الإيمـانِ والرّسـالية ، ومحمّد المجتمـع .. كلها فصولٌ لوحدها نسـأل اللـه فيهـا شرف التوفيـق للتوثيـق .. إذا لم نكـن في هـذا الفصـلِ إلّا مـع «الفتـى الثائـر» ....

خاتمة ..

حلَّـق محمّـد ومَـن معـهُ إلى القدر المحتـوم الـذي ينتظره كلّ البـشر .. إلّا أنَّ الفـارق هـو أنَّ القدرَ مَـن كانَ ينتظرهم فشرّفهم اللـه بالاختيـار، بقـيَ ومَـن معـه .. وسـنرحَل نحـن، سَـبقنا إلى حيـث نضمـى ليكـونَ السّـاقي عـلى حـوض اللقـاء. فيا مؤنسـنا الحـاضر كمولاكَ الغائب .. نراكَ كلّما ردّدنا «**فاشهد ياصاحب الزّمان**».

«هؤلاء الذين فنوا في طريق الحق، وهم يستعدّون لمواجهة عدو الله ومواجهة الموت بكل افتخار وأرى تضرّعهم وأسمع مناجاتهم قبل الهجوم، لا أملك إلا أن ألوم نفسي وأتأسف على وضعي وحالي».

الإمام الخميني العظيم

مركز المقاوم
للثقافة والإعلام